الإمام الحسين

- قتلوا أنصاره وبقى وحده يقاتل حتى الموت .!

- كيف قطعوا رأسه تملقاً لسلطة بنى أمية.

- الرأس الشريف فى القاهرة.

أفظع جريمة فى التاريخ الإسلامى

مقتل الحسين فى كربلاء

ربما لم يشهد التاريخ الإسلامى كله جريمة بشعة كتلك التى حدثت للإمام الحسين وآل البيت فى كربلاء.. فلم يتورع مرتكبو هذا الحادث المروع والأليم أن يمثلوا بجسد سيد الشهداء الإمام الحسين وينتزعوا رأسه الشريف ويضعوه على أسنة السيوف، وهم يعلمون أنه حفيد النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام ، وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة.. كل ذلك إرضاء للسلطة والسلطان .. خافوا الحاكم ولم يخافوا اللَّه ، ولم يراعوا حرمة آل بيت رسول الله ، والحادثة فى ذاتها ترسم أكثر من علامة استفهام حول نوازع النفس البشرية عندما تضل الطريق وتتوه فى خضم أطماع الحياة؟!

ولنعد إلى الوراء قليلاً.. إلى أيام النبى فى المدينة، حيث أصبحت عاصمة للإسلام.. تنطلق منها الجيوش لتحطم باطل مكة ومختلف القبائل، وتسير مع نسماتها أنفاس النبى الكريم وهو يدعو الناس إلى التوحيد وقيم وفضائل وعقائد الإسلام، وبدأ الإسلام ينشر نوره وضياءه بعد انتصاراته الكاسحة على المشركين من عُبَّاد الأصنام وعلى مؤامرات اليهود الذين خانوا العهود وكانوا شوكة فى ظهر الإسلام. حيث استطاع الرسول أن يكبح جماحهم، وينتصر عليهم فى كل المواقع التى خاضها ضدهم.. فى هذا الجو المتألق بنور الإيمان وألق الانتصارات ولد الحسين لخمس خلون من شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة وقد قال عنه أعظم رسل السماء.

«حسين منى وأنا من حسين ، أحب من أحب حسينا»

و.. ما أكثر الأحاديث النبوية التى قيلت فى الحسن والحسين وعندما نزلت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب:٣٣]

أرسل النبى ﷺ إلى على وفاطمة وابنيهما فقال: «هؤلاء أهل بيتى».

وفى ظل النبوة . . نشأ الحسين وترعرع على التقوى والشجاعة وحب العلم، وحب كل ما نادى به الدين الحنيف ومضت الأيام وقبض رسول الله إلى أكرم جوار ولحقت به بعد شهور ابنته فاطمة الزهراء، وقامت الخلافة الراشدة، وشاهد الحسين ما جرت به الأيام من أحداث فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وشملت الأمبراطورية الفارسية كلها واقتطعت مساحات شاسعة من ممتلكات الروم، ودخلت فى دائرة الإسلام بجانب الفرس ، العراق والشام ومصر والشمال الأفريقى، ولولا قيام الفتنة الكبرى فى نهاية خلافة عثمان، واشتداد الحروب الأهلية فى خلافة الإمام على، لوصل الزحف الإسلامى إلى أماكن لم تخطر على بال.

كيف قطعوا رأسه تملقاً لسلطة بنى أمية ؟

اشتد النزاع بين على ومعاوية، إلى أن قتل الإمام علىّ على يد أحد الخوارج (عبدالرحمن بن ملجم) نجا من المؤامرة التى دبرها الخوارج للتخلص من على ومعاوية وعمرو بن العاص. . نجا من هذه المؤامرة معاوية وعمرو وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، وهكذا استتب الأمر لمعاوية، والذى سرعان ما حول الخلافة إلى ملك عضوض.

وعندما مات معاوية آلت الخلافة لابنه يزيد وكان معاوية قبل موته قد أخذ له البيعة من الصحابة بالقوة حينا، وبالمكر حيناً آخر. . كان من الطبيعى ألا يرضى الحسين بأن تتحول الخلافة إلى ملك عضوض لبنى أمية، فثار على هذا الوضع الجائر، ورفض إعطاء البيعة ليزيد وكان لابد أن يتحول هذا إلى صدام، وأن تجرى الأمور إلى حد المواجهة، والإمام الحسين لا ينقصه الإيمان بعدالة مطلبه بأن يعود الحكم شورى بين المسلمين، ولا يتحول إلى ملك يتوارثه بنو أمية، كما كان لا تنقصه الشجاعة التى اشتهر بها ليواجه صلف يزيد بن معاوية مهما كانت أشواك الطريق.

كان الإمام الحسين شخصية بالغة الثراء والمهابة، حتى أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال للناس عندما رأى الحسين فى مهابته يدخل إلى مسجد جده عليه الصلاة والسلام.

- ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى السماء؟

قالوا: بلى.

- هذا الماشى . . وأشار إلى الحسين . . وقال:

ما كلمنى كلمة منذ ليالى صفين . . ولئن يرض عنى أحب إلىّ من أن يكون لى حمر النعم.

عندئذ قال له أبو سعيد الخدرى : ألا تعتذر له؟

وذهب واعتذر له ، بأنه ما ذهب إلى صفين لقتاله أو قتال الإمام على، ولكن ذهب تحت ضغط والده عمرو بن العاص.

لقد أرسل له أهل العراق ليذهب إليهم لمبايعته، ووجدها الإمام الحسين مناسبةً للثورة على الحكم الأموى مهما كانت النتائج.

وهنا يبرز تساؤل هل كان الإمام الحسين متيقنا بالانتصار على جيوش الإمبراطورية الأموية؟

أم كان يريد الشهادة لعل دمه الذكى يذكر الناس بضرورة الثورة على ظلم الطغاة!

لقد نصحه أخوه الحسن قبل وفاته قائلاً له:

- إن أباك قد استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه، ووليه أبو بكر . . ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك فى وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت إلى عثمان، فلما قتل بويع بها، ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له، وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء

الكوفة فأخرجوك؟ ولقد نصحه الكثير من أبناء الصحابة ألا يذهب إلى العراق ومنهم عبدالله بن عباس ، ولكن الإمام لم يسمع لأى نصيحة . . وكأن القدر يسوقه سوقاً إلى الذهاب إلى العراق، حيث تخلى عنه من أرسلوا له للذهاب إليهم ومبايعته، وتركوه وحده مع آل بيت الرسول يواجهون سيوف بنى أمية، وسيوف من يريدون الزلفى إلى السلطة والسلطان! .

كان الحسين قد أرسل مسلم بن عقيل إلى العراق ليعرف الحقيقة عن قرب ويرى مدى التزام أهل العراق بالبيعة له، وأرسل معه رسالة إلى أهل العراق، وعندما دخل الكوفة، وعلم الناس بقدوم ابن عم الحسين ، ذهبوا إليه وبايعوه، وما كان هذا الأمر يمكن أن يخفى على يزيد بن معاوية، الذى أمر بتولية عبيد الله بن زياد أمر الكوفة والبصرة حتى يمكنه التصدى لأتباع الحسين وقتل مسلم بن عقيل! . . والذى استطاع القبض عليه وقتله بعد أن تخاذل عنه الناس، وانفضوا من حوله، وتركوه وحده يواجه مصيره المحتوم . .

ويقول الرواة ومنهم ابن جرير الطبرى ، ان مسلم بن عقيل قد بكى عندما رأى انفضاض الناس من حوله وعندما سأله أحدهم : إن من يطلب مثل ما تطلب، لا يبكى إذا نزل به مثل الذى أنزل بك .

فقال مسلم : إنى والله ما لنفسى أبكى ، ومالها من القتل أرثى، وان كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا، ولكن أبكى الأهلين المقبلين إلى الكوفة، أبكى الحسين وآل الحسين . . ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال:

- يا عبدالله إنى واللّه أراك ستعجز عن أمانى، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلا على لسانى يبلغ حسيناً عنى رسالة؟ فإنى لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غدا هو وأهل بيته، وإن ما تراه من جزعى لذلك فتقول له: ان ابن عقيل بعثنى إليك وهو فى أيدى القوم أسير لا يدرى أيصبح أم يمسى حتى يقتل، وهو يقول لك: أرجع بأهلك، ولا يغرنك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وليس لكاذب رأى، وقد أوفى الرجل بما

وعد ، وبعث بالرسالة إلى الإمام الحسين ولكن الحسين كان قد عزم على الرحيل، وكان ردّه على هذه الرسالة التى بعث بها ابن عمه عقيل: «كل عاصم نازل.. عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا».

ولم يسمع الإمام الحسين كل من نصحوه بالعودة ، وكان يقول لمن ينصحه بالعودة:

«إنى رأيت رؤيا .. رأيت رسول الله ﷺ أمرنى بأمر أنا ماض له، ولست بمخبر بها أحد حتى ألاقى عملى».

ومضى الإمام الحسين فى طريقه، ومعه آل بيت رسول الله ﷺ.

ويقول الرواة أن الحسين لقى الشاعر المعروف الفرزدق وسأله عن الناس وموقفهم منه، فقال له الشاعر:

«قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء واللّه يفعل ما يشاء».

ويمضى الإمام الحسين فى طريقة لا يثنيه شىء عما أراد كأنه يريد أن يوقظ الناس من سباتهم ، ولن يوقظهم من سباتهم إلا حدث ضخم .. هذا الحدث هو دم الحسين نفسه.

كما أنه لم يفصح لأحد عن رؤيته للرسول عليه الصلاة والسلام وفحوى هذه الرؤية.

وقابله جيش يزيد، وضيَّق عليه الخناق ، حتى دفعه إلى كربلاء.. وبدأ بعض من كان يؤازره من أهل الكوفة يتلمس الطريق إلى النجاة. وهرب بعضهم تحت جنح الظلام.. وبدأ الزمن يسير بطيئاً .. وأخذ الإمام وهو رابط الجأش ، يعد العدة لما سوف يحدث لم تأخذه رهبة ولا خوف ، ولكنه كان خائفاً على أصحابه ، وكان يمكن أن يضع للأمر كله نهاية خاصة عندما تحرك ابن سعد فى جيش كبير لحصاره ، وهو يدرك تماماً أنه يمكنه أن يضع نهاية للمأساة، لو أنه قال لقائد جيش عبيد الله بن

زياد أنه سوف يبايع يزيدا . . وهو يعلم أيضاً أن هؤلاء يتربصون به الدوائر ينتظرون تلك اللحظة، ومن الصعب عليهم قتل حفيد رسول الله ﷺ، ومن الصعب عليهم مواجهة حب رسول الله، وأى كلمة تصدر منه وتنهى هذا الموقف الصعب سوف يستجيبون له!.

بل ان ابن سعد قد شعر بالسعادة عندما أمهله الحسين ليلة قبل القتال، ظناً منه أن الحسين سوف يبايع (يزيد بن معاوية) . . وينهى هذا الموقف الصعب، ولكن الإمام الحسين. . صاحب المواقف ، لم يكن يطلب هدنة، حتى يفكر فى أمر مبايعة يزيد، ولكنه كان يطلب الهدنة حتى يتيح لمن اتبعه من الأنصار، أن يفروا من ميدان القتال تحت جنح الظلام ، فهو وحده المطلوب دمه. . وهو وحده الذى ترصده عيون الحاقدين والمنافقين، حتى ينالوا بقتله الحظوة من السلطان. .

وتحت جنح الظلام قال لأصحابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه.

أما بعد:

فإنى لا أعرف أصحاباً خيراً من أصحابى . . ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتى. . فجزاكم اللّه خيراً فقد بررتم وأعنتم.

وأنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى. . وأن يومى معهم غداً . . وأنى قد أذنت لكم جميعاً فانطلقوا فى غير حرج. . ليس عليكم منى ذمام. هذا هو الليل قد غشيكم، فانطلقوا فى سواده قبل أن يطلع النهار، وانجوا بأنفسكم.

ولكن آل بيت رسول الله الذين جاءوا معه، لم يكن من السهل عليهم الفرار من المعركة. . وليس هذا من طبعهم ولاديدنهم فقد عاشوا للّه وباللّه . . لم ترهبهم الحشود التى حاصرتهم ومنعت عنهم الماء!

ولم ترهبهم هذه الحشود التى جاءت لتسفك دماء أهل بيت نبيهم عليهم الصلاة والسلام الذى أخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم إلى نور التوحيد، وإلى قيم الإسلام ومبادئه. .

وكيف يجرؤ هؤلاء القوم على قتل حفيد أعظم رسل الله؟. وكيف تجرؤ هذه الكلاب الضارية على نهش أجسام طاهرة، تربت وترعرعت فى حضن رسول الله؟!

وفى هذا الموقف البالغ الصعوبة، صاح أخوه لأبيه العباس بن على:

معاذ الله والشهر ام . . وماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم . . نقول تركنا سيدنا وابن سيدنا غرضا للنبال، ودرينة للرماح، وحرزا للسباع، وفررنا عنه رغبة فى الحياة؟

. . معاذ الله . . معاذ الله . . بل نحيا بحياتك ونموت معك . .

وسأله ابنه (على):

- ألسنا على الحق يا أبتاه؟

فقال له الإمام الحسين :

- بلى . . والذى أنفسنا بيده . .

فرد ابنه:

- إذن واللّه لا نبالى.

ومضت تلك الليلة . . ليلة العاشر من المحرم. . وأصبح الصباح والكل يترقب ما تسفر عنه الأحداث.

وقف عمر بن سعد قائد جيش يزيد فى أربعة آلاف مقاتل. . وأمامهم آل بيت رسول الله وعلى رأسهم الإمام الحسين وعددهم اثنان وسبعون.

والعجيب أنه قبل القتال قاموا للصلاة ، وفى هذه الصلاة طبعاً قرأوا:

- اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

فكيف طاوعتهم نفوسهم على قتل آل محمد الذين يصلون عليهم فى صلواتهم المفروضة.

وكان لابد أن يبدأ القتال . . وبدأ القتال . . وبدأت السهام تتناثر حول آل بيت رسول الله، وحول حفيده العظيم.

ولم يكن هناك من سبيل أمام الإمام الحسين إلا القتال بعد أن رفضوا طلبه بالعودة إلى مكة وضيّقوا عليه الخناق. . ومنعوه وأهله من الاقتراب من الماء، وكان لابد أن تبدأ المذبحة . . حيث تقدم أصحاب الحسين بعد أن ابتدأوهم بالقتال يدافعون عن الحسين، حتى تساقطوا ولم يبق إلا الحسين وحده يقاتل جيشاً كاملاً، وهم يتكالبون عليه، حتى سقط صريعاً ، وتقدم أحدهم بعد أن خارت قواه، وأصبح جثة هامدة ، ليجتث الرأس الشريف بأمر من شمر ذى الجوش، وهكذا انتهت المعركة بمصرع آل البيت جميعاً. .

والغريب أنهم ساقوا آل البيت أسرى لمقابلة عبيدالله بن زياد، ولم يبالوا أن يجعلوا نساء آل البيت يمررن على جثث الشهداء مما حدا بالسيدة زينب رضى الله عنها أن تصيح:

« يا محمداه . . يا محمداه . . صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأوصال. . يا محمداه . . وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا».

وقارئ سيرة الإمام الحسين ، يعرف كيف واجهت السيدة زينب رضى الله عنها صلف عبيد الله بن زياد. . وصلف وشماتة يزيد بن معاوية وكيف أفحمتهما بمنطق وبلاغة آل بيت رسول الله ﷺ .

ولقد أعجبنى ما كتبه خالد محمد خالد عن نهاية هذه المعركة:

- . . كان النهار قد لفظ آخر أنفاسه . . ومالت الشمس للغروب مخلفة وراءها شفقا عجيبا فى حمرته الزاهية ، ووهجه المتألق !. وقد امتد على طول الأفق ، وكأنه بساط وضع ومهد لتعرج إليه إلى جنان الله أرواح الشهداء.

وعلى غير عادة الطقس والمناخ فى ذلك الحين وفى تلك الأرض دوت طلقات

قوية صادعة كأصوات الرعود. . ولقد حسبها المجرمون نذيراً لهم . . ولكن لا . . فهم أهون على الله من ذلك.

إنما هى السماء . . كانت تطلق مدافعها تحية.

تحية إجلال . . للمهمة التى أنجزها الشهداء. .

وتحية استقبال ، للأرواح التى كانت قد بدأت رحلة خلودها إلى حيث تتلقى من يمين الرحمن ما أعده لها من مثوبة ونعيم وعطاء.

ومن المعروف أن الرأس الشريف قد انتقل إلى مصر فى مكانه الحالى فى ٨ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ ، وستظل سيرة الإمام الحسين واستشهاده العظيم مثالا يضرب للتضحية والفداء. . كما ستظل سيرة حياته واستشهاده من المواقف العظيمة لأصحاب البطولات العظيمة الذين يضعون المبادئ فوق المصالح لأن المبادئ تبقى والمصالح تزول.